المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

الخطـــيم المحرزي

حياته وما تبقى من شعره

صنعة
الدكتور نوري حودي القيسي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

هو الخطيم بن نويرة العكلي من بني عبشمس ، ويغلب عليه المحرزي ، من لصوص العرب وشعرائهم . ويكتفي ياقوت في بلدانه وهو يستشهد بابيات من شعره بتسميته بالخطيم العكلي(١) . وينعته في مواضع اخرى بالخطيم اللص(٢) او الخطيم المحرزي(٣) . ويكتفي صاحب الحماسة بالخطيم(٤) وهو يورد له ثلاثة أبيات من لاميته . ويورد له صاحب الحماسة البصرية ابياتا من لاميته ويقدم لها بقوله : وقال الخطيم احد بني عبد شمس ثم المحرزي أحد اللصوص(٥) ويكتفي صاحب منتهى الطلب وهو يورد أكبر مجموعة شعرية له وهو يقدم لبعض قصائده بقوله : وقال الخطيم المحرزي ، من بني عبشمس ، وهو من اللصوص(٦) .

ان هذه المقدمات التي قدم بها شعره لا تخرج عن هذه التسميات ، ولا تحدد لنا اكثر من دائرة اسمه ولقبه وحرفته التي عرف بها وقبيلته التي ينتمي اليها .

وعكل التي ينتمي اليها الشاعر هي عكل بن اد ، وقد ظهرت الى بلاد نجد وصحاريها فحلت منازل بكر وتغلب ، التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم ، ثم مضت حتى خالطت أطراف هَجر ، ونزلت ما بين اليمامة وهجر(٧) .

وفي شعر الخطيم اشارات كثيرة الى مواضع في الدهناء(٨)، ويبدو ان حركته كانت في اطار هذه المواضع ، او حنينه كان يطوف به حول هذه الامكنة ، لان اخباره تحدثنا بانه سجن بنجران ، وان مكوثه في هذا السجن قد امتد وطال حتى أوشك اليأس ان يتسرب الى نفسه ، فخابت آمال العودة في نفسه ومات رجاء الرجعة الى بلاده :

أتيح لدي بثّ طريدٍ تعوده
همـوم اذا ما بات طارقهـا يسـري
بنجران يقـري الهـم كـل غريبـة
بعيدة شـأو الكـلم باقية الأثـر
يمثلها ذو حاجـة عرضـت لـه
كئيب يؤسّ بين قرنـةَ والفهـر
فقال وما يرجـو الى الاهـل ردةً
ولا ان يرى تلك البـلاد يـد الدهـر

وتأخذ عكل امتدادات مختلفة في تطور الاحداث القبلية ، لانها تشكل نقطة كبيرة ومجالا رحبا من مجالات القدرة على تقديم مجموعة كبيرة من الشعراء اللصوص الذين عرفوا بانتمائهم لعكل امثال السمهري العكلي وجحدر العكلي وغيرهما ممن عرف بهذه النسبة وشهر بهذه المهنة . ولابد ان تختفي وراء هذه الظاهرة مجموعة من الاسباب التي دفعت ابناء هذه القبيلة الى اتخاذ هذا السلوك والاندفاع وراء هذه الحرفة ، حتى أصبحوا من نزلاء السجون ، وهواة التشرد ، وجماعات المغتربين . ولعل دراسة مفصلة لاحوال هذه القبيلة ، ولاحوال هؤلاء الشعراء . تكشف عن النوازع الحقيقية التي كانت تختفي وراء هذه الحركة الواسعة .

ومن الجائز أن يكون لموقع منازل « محرز » وهي قريبة من قوافل التجار ، قد جعلت هذه القوافل في متناول أيديهم . فكانوا يجدون فيها متاعا كثيرا ، وربحا وفيرا ، وزادا يسدون به غائلة الجوع ، فيكفيهم مأونة الفاقة والحاجة . الى جانب معرفتهم العريقة بمسالك الطرق ، ومغايرء الاودية التي تخفيهم عن أنظار السلطة ، وتجعلهم في حرز عن العقاب . مما يقوي فيهم النزعة الراغبة الى سلوك هذا المسلك . وربما تصاحب هذه العوامل عوامل اخرى يبرز فيها العامل الاقتصادي بشكل واضح ، وتتمثل عناصره بقدرة شامخة فيضاف هذا العامل الى العوامل المتقدمة لتأخذ نمطا حياتيا بارزا في حياة هذه القبيلة ، لتمسح عنها وجه كآبتها ، ويدفع عنها ذل حرمانها .

ان هذه العوامل مجتمعة او منفردة . لا يمكن ان تنفصل عن العوامل الاخرى التي تدخل في اطار الطموح السياسي ، أو النزوع القبلي ، أو الشعور بالحرمان مما يجب أن تكون فيه هذه القبيلة .. هذه العوامل كلها أو بعضها قد تدفع بصورة فردية او جماعية لتجد في نفوس هؤلاء هوى يحملهم هذا المحمل ، ويدفعهم الى هذا السلوك .

---

(١) ياقوت . معجم البلدان ٢/٣٤٤ ، ٣/٢٩٩ ، ١/٧٣٦ ، ٣/٧٣٠ ، ١/٧٠٣ .
(٢) ياقوت . معجم البلدان ٤/٤٤٣ .
(٣) ياقوت . معجم البلدان ٢/٨٥٦ .
(٤) أبو تمام . الحماسة ٤/١٨١٥ ويسميه « حطيم » وهو تحريف لان الهامش يذكر انه عند التبريزي الخطيم .
(٥) البصري . الحماسة البصرية ٢/٣٥٩ .
(٦) ابن مبارك . منتهى الطلب من أشعار العرب الورقة ١٢١/
(٧) البكري . معجم ما استعجم ١/٨٨ .
(٨) ياقوت . معجم البلدان ٢/٣٤٤، ٣/٢٩٩، ٤/٤٤٣، ٥٧٠ .

وكما اخذت « عكل » هذا الامتداد البارز في هذا الجانب ، فهناك جانب آخر كانت عكل فيه بين ظاهرتين من ظواهر التضاد المخالفه . فالجاحظ يذكر ان في عكل من الشرف والفضل ماليس في ثور(٩) . ولكنه يورد بعد هذا التقويم لعكل مجموعة من الابيات الشعرية ، وفي مواضع مختلفة تحط من قيمة عكل ، وتضعها في موضع يناقض الموضع الذي وضعوا فيه .

فهو عندما يستشهد بأبيات لخلف الاحمر في هجاء قوم ، نجد الشاعر في « عكل » صورة من صور الهجاء البارزة فيقول(١٠) :

أناسٌ تأتهون ، لهم رُواءٌ
تَغيمُ سماؤهم من غير وبْل
اذا انتسبوا ففرع من قريش
ولكن الفعالَ فعالُ عَكل

وخلف في بيته الثاني يريد بعكل الغباوة وقلة الفهم ، حتى يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق عكلي(١١) . ومما يؤكد هذه الصفة ان كثيرا من الشعراء استشهدوا بهم في هذا الموضع . وقد أورد الجاحظ شعرا في العنكبوت للحداني وفيه يقول(١٢) :

يزهدني في ود هارون أنه
غذته باطباء معلنة عَكلْ
كان فَفَا هارون اذ قام مدبرا
ففا عنكبوت سل من دبرها غزل

واقترنت عكل بالشؤم عند شاعر آخر فقال(١٣) :

ولدت بحادي النجم تسعى بسعيه
كما ولدت بالنحس ديانها عكل

ان هذا التضاد الذي يجمع بين الشرف والفضل اللذين عرفت بهما هذه القبيلة وهو فيها أكثر من غيرها . وبين هذه الغباوة وقلة الفهم ، والنحس والشؤم . التي رميت بها تمثل ظاهرة من الظواهر التي ساهمت الى حد كبير في هذا الوضوح الذي عرفت به ، باعتبارها مستودعا ثرا من المستودعات التي قدمت هذه المجموعة الكبيرة من الشعراء الذين لونت حياتهم بهذا اللون الذي لا نستطيع ان نحدد طبيعته أو نقرر تأكيده . لان امثال هذه الدراسة توجب التفرد في بحث القبيلة وحركتها وموقعها واتصالها بالقبائل الاخرى وعلاقتها بالدولة ووضعها الاقتصادي وهي دراسة لا أجد مجالا لها في هذا المكان الذي يعرض لحياة شاعر واحد من شعرائها .

ان دراسة اولية لما عثرنا عليه من ابيات يمكن ان تضع خطوطا كبيرة ، واشارات مركزة لاهم الاحداث التي كانت تعتري حياة هذا الشاعر ، فهو مسجون في سجن نجران ، يستعطف قومه ، وفي هذا الاستعطاف لمحات تومض بالتخلي الذي ارتسمت امارته على ابناء قبيلته ، وطلبت منه الفدية والرهينة فلم يجد احدا يعطي من ماله ما يعيد اليه حريته ويجعله في عداد الطلقاء من الناس . وهو في هذا الموقف يتحدث بمشاعر رقيقة ويستعطف باسلوب يترفرق فيه الانسانية الضائعة في نفسه فيقول :

بني محرز هل فيكم ابن حمية ... يقوم ولو كان القيام على جمر
بما يؤمن المولى ومايرأب الثأى ... وخير الموالي من يريش ولايبري
كما انا لو كان المشرد منكم ... لابليت نجحا أو لقيت على عذر
لاعطيت من مالي واهلي رهينة ... ولاضان بالاصلاح مالي ولاصدري

وهو رجل له منزلته في قومه ، لانه عندما يخاطب قومه يخاطبهم بايمان ، ويتحدث معهم بصراحة متناهية ، فهم ـ اذا لم يحاولوا انقاذه ـ سيجهدون انفسهم في سبيل الحصول على خليفة يحل محله ، اذا نابتهم نائبة ونزلت بهم جسيمات الامور .

بني محرز من تجعلون خليفتي ... اذا نابكم يوما جسيما من الامر
بني محرز كنتم وما قد علمتم ... كفادية خرقاء عيت وما تدري

ان الاخبار التي بين ايدينا لا تكشف عن النشأة الاولى لحياة هذا الشاعر ، ولا تحدد من المعالم ما يعطي لهذه الشخصية بعدها الحقيقي او القريب من الحقيقي لان اخباره نادرة ، وحياته غير معروفة ، ومن الطبيعي ان تكون حياته وحياة غيره من الشعراء اللصوص غير معروفة لانها حياة تشرد ، يسودها القلق ، ويغلب عليها الضياع ويملأ ظواهرها البؤس ، ومثل هذه الحياة لا تتوفر لها القدرة على الوقوف للمجابهة ، ولا تتوفر لها الامكانية لتأخذ مكانها الادبي الا اذا توفر لها من يهتم بابراز مظاهرها أو يجمع شعر شعرائها أو يتحدث عن البناء الشعري الذي طبع به هذا الشعر . أو ينتفع منها في تحديد دراسة معينة(١٤) .

وشعراء اللصوص شعراء احاطت بهم ظروف معينة لونت شعرهم بالوان خاصة ، وميزته بميزات لها طابع معين . ودفعتهم الى انتهاج منهج شعري تألق فيه اسلوب واضح ، واستخدمت فيه عبارات محددة ، واختيرت له الفاظ وممان تحمل التأثر الحقيقي لهم ، وبناء شعري له قواعد واصول ثابتة ، وتداخلت في شعرهم نوازع انسانية واخلاقية واضحة يغلب عليها طابع الخوف والذعر ، ويتجلى في معانيها الشعور بالاغتراب القبلي والمحلي والنفسي وترتسم في صياغته النوازع الصادقة في كل ما يدعو الى الحنين او يتصل به .

والشعراء اللصوص لا ينسون ـ وهم في غمرة أحاسيس الالتصاق الوجداني كبرياءهم وآباءهم والتزامهم الاخلاقي بما يحقق لهم الاندماج او التوافق مع المجموعة التي يشعرون بانتمائهم اليها قبليا أو يخضعون لها اجتماعيا ... فكانت صور الكرم وهو يصل الى ابعد مراحله ، والشجاعة وهي تتسع لاكبر مساحة من الاقدام ، والتضحية والايثار وهو يأخذ اعمق بعد من ابعاد شموخه وتعاليه .. هذه المعاني ، وما يدور فيها كانت تأخذ صورتها اللامعة في شعرهم ، وتملأ حقولا كبيرة من حقول تحركهم عاطفة وانطلاقا وقدرة .

وعلى الرغم من هذه المقاطع القليلة التي تمدنا بها المظان القديمة أو تجود بها كتب المجاميع ، الا اننا نستطيع ان نتلمس ان تيارات شعرية لها اصولها الشامخة تأخذ مجراها وانسيابها

---

(٩) الجاحظ . الحيوان ٣٦١/١ .
(١٠) الحيوان ٢٨٥/٥ .
(١١) ابن منظور . لسان العرب [عكل] .
(١٢) الحيوان ٤١٠/٥ .
(١٣) الحيوان ٩٤/٦ .
(١٤) تشير المصادر الى ان الجاحظ صنع كتاب اللصوص الحيوان ١٥٦/٢ وصنع السكري أشعار اللصوص معجم الادباء ٣٠٧/٦ ولم تصل الينا .

وتحديها في شعر هذه الجماعة بحيث تطغى على كل شعر ، وتبرز في سياق كل ظاهرة أدبية بروزا يعطيها القدرة على الصمود ، ويمنحها الافضلية في الثبات والالتزام .

في أخبار الخطيم تبرز مجموعة من الاسماء التي تكاد تكون اخبارها غير متميزة الا بعض الاعلام التي استطعنا من خلالها ان نحدد فترته التي عاش فيها ، لان الكتب لا تحدد لنا اية علامة من علامات حياته .. ولولا قصائده التي يستعطف بها سليمان بن عبدالملك [امتدت خلافته بين سنتي ٩٦-٩٩] لما استطعنا ان نعلم الزمن الذي عاشه هذا الشاعر ولا الفترة التي انحصرت فيها حياته . ويعرض في استعطافه هذا الى يزيد بن المهلب الذي استجار بسليمان بن عبدالملك . فاجاره(١٥) . ويتخذ منه اسبقية محمودة في الاستجارة . وهي ابيات تومي بما كان يتصف به هذا الخليفة من التزام .

اعذني عياذا يا سليمان انني
أتيتك لما لم اجد عنك مقعدا
لتؤمنني خوف الذي انا خائف
وتبلغني ريقي وتنظرني غدا
فرارا اليك من ورائي ورهبة
وكنت احق الناس ان اتعمدا
وانت امرؤ عودت نفسك عادة
وكل امريء جار على ما تعودا

ويتضح تأثر المتنبي الشاعر بالبيت الاخير تأثرا واضحا في بيته المشهور .. لكل امريء من دهره ما تعودا .

تعودت الا تسلم الدهر خائفا
أتاك ومن آمنته امن الردى
اجرت يزيد بن المهلب بعدما
تبين من باب المنية موردا
ففرجت عنه بعدما ضاق امره
عليه وقد كان الشريد المطردا
سننت لاهل العدل في الارض سنة
ففار بلاءُ الصدق منك وانجدا
وانت المصفى كل امرك طيب
وانت ابن خير الناس الا محمدا
وانت فتى أهل الجزيرة كلها
فعالا واخلاقا واسمحهم يدا

ونفس الشاعر في هذه القصيدة نفس اصيل ، وتمكنه في ابيانها تمكن شاعر مقتدر ، ورقته في اظهار عاطفته رقة اصيلة .. استطاع من خلال ذلك ان يقدم صفحة متكاملة من الاستجارة ليامن على نفسه ، ويبعد الرهبة عنها ، ويتمتع بما يتمتع به الآخرون .

(١٥) في خبر طويل يورده الطبري في تاريخه ٤٤٨/٦ يذكر انه في سنة تسعين هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم ، فلحقوا بسليمان ابن عبدالملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبدالملك . فأمنهم واجارهم .

والخطيم المحرزي شاعر كونته البيئة الشعرية العربية الكبيرة التي حفل بها العصر الاموي ، عصر الزهو الادبي ، الذي تسامت فيه الاصالة العربية شموخا واتساقا ولابد ان تمتد الى شعره ملامح التأثر الذي بسط رقعته على كثير من الشعراء فتاخذ مكانها المباشر او غير المباشر في سياق قصيده الشعري على الرغم من المحاولات الكثيرة التي برزت في هذا الشعر لاخراجه عن الدائرة التي كانت تدور فيها القصيدة التقليدية .. لان امثال هذه الملامح لا يمكن ان تختفي مادامت اصولها قد وجدت مجالا في اي بعد من أبعاد البناء الذي امتلك ناصية الشعر في المراحل الاولى .. ففي حديثه عن نفسه وعما يعتريه من شحوب يعرض لذكر مجموعة من أسماء النساء مثل (أمامة)(١٦) والحارثية(١٧) وعزّة(١٨) وأم مالك(١٩) وهي اسماء غير حقيقية وانما هي رموز أراد من خلالها ان يتحدث عن خصائص وصفات لازمته ، وهي محاولة من محاولات الشعراء القدامى في تجريد صورة المرأة تجريدا واضحا ، واظهارها بالمظهر الساخر من شحوبه ، وتقدد قميصه ليتخذ هذا المنفذ مجالا يشير فيه الى حبه الصادق ، ووفائه المخلص ، وانصرافه الكلي وجراته وقدرته ، ونقمته التي لم تترك له أحدا من الاصدقاء(٢٠) :

وقائلة يوما وقد جئت زائرا
رايت الخطيم بعدنا قد تخددا
أما ان شبيبي لا يقوم به فتى
اذا حضر الشح اللئيم الصفندد(٢١)
فلا تسخري مني امامة ان بدا
شحوبي ولا ان القميص تقددا

ان نزعة الاعتزاز والاباء والتفاخر بالمجد نزعة اصيلة عند هؤلاء الذين حاولوا ان يثبتوا وجودهم الحقيقي من خلالها ، ويؤكدوا التزامهم المطلق بها . فتناثرت صور هذا الاعتزاز في ابياتهم من اباء للضيم واكرام للضيف واطعام للجائع ودفاع عن حق القبيلة حتى اصبحت هذه النزعة طاغية . فاتخذها الخطيم مطلعا من مطالع شعره ، ليوفق بين غرضين استحكما في نفسه وعرضا له أو اضطر الى ان يعرض لهما فهو مسجون يلاقي في سجنه الحرمان والغربة والوحدة ، ولابد ان يستعطف قومه لعلهم يخفون لنجدته ، ويسرعون لانقاذه وهو أبي يرفض الاستعطاف ، ويرفض التذلل . ولابد ان تتصارع هذه النزعات في نفسه ، وتتنازع عوامل الاندفاع في حياته ، ولكنه مضطر الى ان يعلن غربته القاتلة . وقد تصورت له دواعي الشؤم مجسدة ، تكشف له عن النأي الطويل بعد أن مرت عائف الطير سانحة ، وشرها ما كانت ـ في عرفه ـ سانحة وقد مرت بفكره الذكريات التي لا ينساها . ومن الطبيعي الا تكون منسية ، لان الذكريات اقترنت بعيون التي عز لقاؤها ، وهي تعيد

(١٦) تنظر قصيدته الدالية / البيت الثالث .
(١٧) تنظر قصيدته الدالية / البيت السادس .
(١٨) تنظر قصيدته الدالية / البيت السابع .
(١٩) البيت / ٣٠ .
(٢٠) ينظر كتاب دراسات في الشعر الجاهلي للمحقق ففيه دراسة مفصلة عن الحوار في القصيدة الجاهلية ، ويمكن اعتبار هذه الظاهرة عند الشاعر امتدادا لوجودها عند الشعراء الجاهليين .
(٢١) الصفندد : الرجل اذا كان مع الحمق كثرة لحم وثقل .

السلام بعد ان طلبت منه الا تكون الرحلة بعيدة . وقد حالت بعينها عبرة حائرة .. وهي محاولة اخرى من محاولات الحوار التي ادخلها الشاعر في قصيدته ليعطيها بعدا جديدا ، ويحرك موضوعاتها تحريكا يدخل على القصيدة عنصر التجديد . ولتترك للشاعر مجالا واسعا للحركة تمكنه من التعبير عن المدلولات الواقعية التي تجد نفسها قادرة على السيطرة عليه .

اما الهموم التي شغلت حياة هذه الفئة ، فهي هموم لها مدلولها النفسي والاجتماعي والوجداني . وقد اخذت عليهم جوانب محسوسة من حياتهم . واعاروها قدرا كبيرا من مشاغلهم ، لانها تنبعث عند كل ظاهرة يلتقون بها . وتكبر في ظل كل دائرة يشعرون بضيقها عليهم . ولا اجد نفسي مبالغا اذا قلت ان همومهم كانت هموما لها معاييرها الخاصة التي لاتشاكل هموم الآخرين باتصالها المستمر وامتدادها الذي لا ينتهي ، وخضوعها لاجوائهم النفسية الخانقة . حتى اصبح لهم في حياتهم لونا مغايرا ومنزعا غير مألوف بالنسبة لهموم الاخرين.

لقد اقترن الهم عند هؤلاء الشعراء بتحرقهم نحو الارض والوطن . وتحرقهم هذا مشوب بالالم ومصحوب بالمشاعر التي تلمس عند كل الشعراء المرتبطين بالارض ، المشدودين بعوامل الالتصاق الوجداني بكل ما يدعو الى الارتباط والتفاعل . فالارض ليست مطلقة في وجدانهم ، وهي ليست مجردة تضم احجارا او كثبان رمل ترسم على صفحاتها الرياح اشكالا هندسية متناسقة او مضطربة .. او كومة تلال متباعدة حرمتها الطبيعة حتى من ابسط مظاهر الخضرة .. الارض عندهم بضعة من النفس تعيش فيها الذكريات والآمال ، ويعيش فيها الزمن الذي يقدسه العربي ، لانه ملكه الذي لا يتجرد عنه ، وحقه الذي يحرص عليه أشد الحرص . ان الربط بين الارض والزمن والحياة معادلة متكاملة في حياة العربي . اخذت زواياها الحقيقية في وجدانه صورة براقة . ووجدت اشكالها الانسانية ملمحا مشرقا في التعبير عن نفسه . فاتحدت الابعاد والاشكال في نفسه مشاعر استطاع ان يحيكها قصيدا تتعالى فيه احاسيسه التي تبرز هذا الارتباط . وما صورة البيت الشعري الذي حرص عليه الشعراء ـ وشاعرنا منهم ـ الا نموذج من تلك النماذج التي تظهر قوة الشد التي ملكت على الشاعر بواعث الالتصاق فرددها بكل كبرياء وعبر عنها بكل طلاقة ..

« الا ليت شعري هل أبيتن ليلة »

فالليلة التي تمناها الخطيم هي الليلة التي تمناها كل الشعراء ، وهي الليلة التي ظلت احلامهم مشدودة في سوادها ونجومها وهدوئها وصفائها وروعتها ، وظلت آمالهم الكبار معلقة في كل حركة من حركاتها توسموا فيها الشبح الزائر ، والظل الحائر ، والنفس الناثة ، والهمسة الموحية . والصمت المعبر . فعاشت في نفوسهم طويلة طول الامد ، بعيدة بعد الراحة التي ينشدونها . حلوة حلاوة الاستقرار الذي راودهم وهم في رحاب الارض العريضة التي توائب فيها القلق وارتمى في جنباتها الخوف . وظلت هذه الليلة التي تمنى ان يبيت فيها صورة معبرة عن الطموح النفسي ، والنزاع الوجداني الذي استحكمت اصوله في نفوس هؤلاء الشعراء غربة وحنينا وتوجعا.

الا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
باعلى بُلىً ذي السلام وذي السدر
وهل اهبطن روض القطا غير خائف
وهل اصبحن الدهر وسط بني صخر
وهل اسمعن يوما بكاء حمامة
تنادي حماما في ذرى نضب خضر
وهل ارين يوما جيادي اقودها
بذات الشقوق او بانفائها العفر

لقد كان يحز في نفسه الا تسمع صرخته او يفك اسره ، وهو يعاني الغربة والتشرد ويندب قومه بصيحات تتفجر فيها آهات التوجع . وتتعالى عواطف الارتباط القبلي التي كان يشعر بها وهو في حيرته الضائعة ، وغربته المؤلمة . يقف عند هذه الظاهرة يستصرخ ويدعو .. ثم يضع نفسه موضع المستصرخ الذي دُعي . فتتألق خصائله الاصيلة ، وتتوقد في نفسه نوازع الاندفاع الحقيقي فيكون بين اثنتين ، اما نجحا يعيد اليهم مكانتهم المرموقة ، او الموت الذي يجد فيه العذر . وتلك هي فلسفة هؤلاء الناس . وهي الفلسفة التي تجلت عند الشنفرى وتابط شرا وعروة وكل قافلة الصعاليك واللصوص الذين تحملوا تبعات الالتزام ، وأخذوا على انفسهم كل ماخذ يحقق التتابع الصائب لقدرة التعامل ، ويفرد الصورة الواضحة لما ادرك من معطيات متفاعلة مع كل نزعة خيرة متمثلة في سلوكهم .. فهي فئة عشقت الحياة ، وعشقت الحرية ، وعرفت السر الذي يقف خلف كل عتبة من عتبات الدنيا .

ان تأثر هذه المجموعة من الشعراء بأفكار خاصة او معان معينة لم يقف عند هذا الحد ، وانما هو تأثير شامل يتوزع في اطارين متكاملين ، اطار المضمون الذي يحمل الفكر ، واطار الشكل الذي يعبر عن ذلك الفكر .. فالصعاليك ـ كما هو معروف ـ وقفوا عند حديث حيوانات معينة لازمتهم في أوصافهم واستشهاداتهم . وخاصة تلك التي تكنس القبور وتولع بالتفتيش عن الجثث . واشارة الخطيم الى الوحش التي تكنس القبور هي اشارة اخرى من اشارات التأثر ... وهذه الوحوش على الرغم من صفتها اللازمة هذه فهي لا تستطيع ان تبعد بينه وبين قومه حتى اذا ابعدت بين قبره وقبورهم ، فهو منهم روحا والتصاقا ، وهم منه اصولا وقبيلة ، تشد بينهم الاواصر ، وتربط بين مصالحهم دواعي الحياة .. فهو الذي انهى عنهم الظلم ، ودافع عنهم باليدين والنحر ، واجهده التعب اذا خصم أدل عليهم ، فلم يتركه الا وشد له ازره بسنان استعد له ، ولسان لم يصبه العي ولا الهذر ..

بني محرز ان تكنس الوحش بينكم
وبيني وتبعد من قبوركم قبري
فقد كنت أنهي عنكم كل ظالم
وأدفع عنكم باليدين وبالنحر
معنى اذا خصم أدل عليكم
بني محرز يوما شددت له أزري
بحد سنان يستعد لمثله
ورقم لسان لا عيي ولا هذر

ان التصاقهم بالارض والوطن ، كان التصاقا حقيقيا ، لانهم وجدوا في الارض طيبا ، ولمسوا بين وديانها عطاء ، فنما حبها نماء انسانيا خالصا ، وتجسدت ألوانه تجسدا حيا ، واصبح عليهم عزيزا ، لا يقوم مقامه شيء . فوديانه التي نشأ فيها ومواضعه التي ترعرع في جنباتها أحب اليه من اية ارض اخرى ، .

اواعسْ من برَّتٍ من الارض طيـــب
واودية ينبتن ســـــدرا وغرفـــــدا
أحب الينا من قرى الشـــــام منـزلا
واجبالهـــا لـــو كان ان آتـــوددا

لم تحل طبيعة الشعراء اللصوص المتشردة وتفردهم المؤلم دون مراعاة عواطفهم التي كانت تنساب رقيقة صافية خالصة ، تدفعهم اليها الملاحة والنقاء ، ويحملهم عليها الخفر والخصائص البدنية التي احبوها ، ووجدوا فيها مدعاة للاعجاب والهوى .. وهواهم اصيل مثل طباعهم ، تمتد جذوره امتداد الزمن ، وترعى اصوله رعاية الصدق الذي عرفوا به . ولهذا كان هيامهم هياما لا يعرف احدا ، ولا ينتهي عند زمن ، فالخطيم يهيم بذكر حبيبته ما يحيا ، واذا انتهى هام بها الصدا .. وهي صورة فريدة من صور الاخلاص التي ترسخت حدودها عنـد هؤلاء الشعراء ، وصورة من صور الوفاء التي التزموا بهـا التزاما مطلقا لا يعرف الانقطاع ولا يعرف الفناء . فالفنـاء عنده قائم ، يجدده الصدى ، وتجدده الذكريات ، ويجـدده الاخلاص القادر على استيعاب المعنى الاصيل لهذا الوفاء .

يهيم فؤادي ما حييت بذكرهـــــا
ولو أنني قدمت هـام بهـا الصـــدا

ان الينابيع الصافية للحب العذري الصادق تفجرت في نفس شاعرنا اخلاصا وصدقا وعاطفة واخذت شكلا من اشكال الحب الذي عرف في هذا العصر ، واتسعت آفاقه عند كثير من الشعراء العذريين . والحب عند الخطيم حب اصيل تجلت حقائقه مشاعر وجدانية تتسق مع ما عرف به من رقة وعاطفة ..

فلا والذي من شـــــاء اغوى فلم يكن
له مرشـــدٌ يوما ومن شـــاء ارشـدا
يمينُ بـــلامٍ ما علمـت بســـيءٍ
عليها وان قـال الحســود فاجهـــدا
واني لمشـــتاق الى الله اشـــتكي
غليل فؤاد قـــد يبيـت مســـهدا
وما لامني في حب عـــزة لائـــم
من الناس الا كان عنـدي مـن العـدا
ولا قال لي أحســنت الا حمـــدته
بما قال لي ثم اتخـــذت لـه يـــدا
فلو كنت مشـــغوفا بعـزة مثـــل مـا
شغفت بها ما لمتني يا ابن اربـــدا(٢٢)

ورحلة الشاعر رحلة طويلة ، لانها لا تنتهي ، وغربتـه بعيدة لانهـا لا تتوقـف عنـد حـد . ولهـذا كـانت ناقته اذا وثبت من مبرك غادرت به دما من خف راعف ، . وهي ناقة قوية تقوى على قطع المفاوز ، سريعة لا يجهدها الكلال الذي تحدث عنه في شعره . وقد قدم الشاعر مجموعة من الصور التي اكد فيها هذ ه المعاني وهي صور تنصب على وصف الراحلة دون ان يعرض لنا في اوصافه ما كان يقف عنده الشعراء التقليديون من لوحات ، فقد عودنا اولئك الشعراء على الالتزام بذكر الالواح متسلسلة حتى يصلوا الى لوحة الصيد التي تعتبر المركـز الموجه لابراز قدرة الناقة على الاستمرار او الانتهاء .. ويمثـل لبيد والنابغة وزهير هذا الاتجاه بصورة واضحة .. ان لوحـة الناقة عند الخطيم لوحة مفردة لها خصائصها وميادينهـا ، وقد أصبحت بعض اجزائها صورة بارعة من الصور التـي يستشهد بها أصحاب الاساليب(٢٣) .

(٢٢) ابن اربد علم ورد في شعره ويبدو ان الشاعر قد اتخذه رمزا للعاذلين .

مصادر شعره :

يُعد كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب ، المصدر الاول من مصادر شعر الخطيم لانه قدم لنا أكثر من مائة وخمسـين بيتا وهذا العدد من الابيات يشكل الجزء الاعظم من شـعره ، لان ما توفر لدينا من ابيات لا يزيد على هذا العدد بأكثر من خمسة عشر بيتا فقط . ولم تكن هذه الظاهرة غريبة بالنسبة لمنتهى الطلب لانه يعد اضخم مجموع شعري في الادب العربي ، واكبر ذخيرة من ذخائر التراث التي احتفظت بهذا القـدر العظيم من الشعر . ففيه الف واحدى وخمسون قصيدة وتسع وعشرون مقطوعة ، عدد ابياتها تسع وثلاثون ألفا وتسع مائـة وتسعون بيتا من الشعر ، وعدد الشعراء الذين اختار لهـم مائتان واربعة وستون شاعرا ، وعدد قصائدهم ألف واحدى وخمسون قصيدة ، والذي يتامل في هذا العدد يجد مدى العدد الضخم من الشعر والشعراء اذا قيس بما هو موجود في كتب المجاميع الشـعرية الاخـرى امثـال المفضـليات والاصمعيات والاختيارين .

واهمية منتهى الطلب لا تقتصر على الكمية الشعرية التي احتواها ، أو العدد الهائل من الشعراء ، وانما يعود الى ما احتواه من شعر خلت منه دواوين الشعراء المطبوعة ، أ ومن شعراء لم تذكر لهم كتب الادب الا الابيات القليلة ، أو شعراء لم نجد لهم في هذه المصادر ما يعين على اسـتجلاء شخصيتهم ، أو الكشف عن قدرتهم من خلال الابيات المفـردة المتناثرة في هذه المصادر .

ومنتهى الطلب هذا ـ كما يقول جامعه ـ « كتاب جمعت فيه الف قصيدة اخترتها من اشعار العرب الذين يسـتشهد باشعارهم ، وسميته منتهى الطلب من اشعار العرب ، وجعلته عشرة اجزاء . وضمنت كل جزء منها مائة قصيدة وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الاوراق ، وادخلت فيها قصائد المفضليات وقصائد الاصمعي التي اختارها ونقائض جرير والفـرزدق والقصائد التي ذكرها ابو بكر بن دريد في كتاب له سـماه الشوارد وخير قصائد هذيل والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات ، ولم اخل بذكر أحد من شـعراء الجاهلية

(٢٣) ينظر التشبيهات لابن ابي عون/٦٧ وديوان المعـاني ١١٩/٢ ومجموعة المعاني /١٨٣ وحماسة ابن الشجري /٧٠٢ وقد نسب البيت خطأ في التشبيهات لابن الخطيم وهو خطأ وقال المحقق في الهامش « غير موجود في ديوان قيس بن الخطيم وقيل انه الخطيم الخزرجي وهو خطأ ايضا فهو الخطيم المحرزي . أما أبو هلال فنسبه الى ابن الخطيم وهو خطأ ايضا وقد حقق النسبة الدكتـور ناصر الدين الاسد في ديوان قيس بن الخطيم فصـوب اوهام المتقدمين ، ينظر الديوان /١٦٧ .

والاسلاميين الذين يستشهد بشعرهم الا من لم أقف على مجموع شعره ولم اره في خزانة وقف ولا غيرها »[٢٤] .

وقد وصل من هذه الاجزاء العشرة ثلاثة اجزاء ، وأخيرا عثر على المجلد الثالث في مكتبة ييل (Yale) في الولايات المتحدة ، ويعكف على دراسته الباحث العراقي الدكتور محمد باقر علوان ، وقد صور لي منه اشعار بعض الشعراء الذين أوشك ان انتهي من تحقيق دواوينهم فله شكري .

وفي العشور على المجلد الثالث يكون ما وصل الينا من الكتاب قرابة النصف ولعل الايام تسعفنا في العثور على القسم الاخر الذي سيقدم للدارسين اكبر مادة شعرية .

يقع شعرالخطيم فيالاوراق (١٢١–١٢٥) منمنتهى الطلب من نسخة (لاله لي) ورمزنا ١٩٤١ ومصورتها في معهد احياء المخطوطات (جامعة الدول العربية) وهي ثلاث قصائد الاولى في ثلاثة وستين بيتا ، والثانية في ستين بيتا والثالثة في ستة وعشرين بيتا[٢٥] .

---

(٢٤) محمد بن مبارك بن محمد بن محمد بن ميمون . منتهى الطلب . الورقة ٦/ نسخة مصورة في مكتبتي .

(٢٥) من الجائز ان يكون جامع منتهى الطلب قد اعتمد في اشعار الخطيم كتاب اشعار اللصوص للسكري ، لانه اورد مجموعة من اشعار اللصوص امثال عبيد بن ايوب والسمهري اللص وجحدر بن معاوية اللص والقتال وفي حديثه عن عبيدالله بن الحر قال : « وجمله السكري من اللصوص ولم يكن لصا .. » وهي عبارة

وبعد بلدان باقوت المصدر الثاني من مصادر شعر الخطيم ، فقد استشهد له بخمسة أبيات من القصيدة الاولى ، وبسبعة أبيات من الثانية ، وانفرد بايراد خمسة أبيات من غير قصائد منتهى الطلب . استشهد بها في مواضع متباعدة وانفرد أبو زيد الانصاري في نوادره بايراد بيتين ، تابعه في ايرادها الخالديان في الاشباه والنظائر ، ونسباهما للمرار بن بديل العبشمي ، وتتوزع مراجع شعره – وهي قليلة – بين مجموعة المعاني الذي استشهد له في موضعين . وكتاب التشبيهات الذي استشهد له في موضع واحد ومثله ابو هلال العسكري في ديوان المعاني ، وابن الشجري في الحماسة ، والراغب في المحاضرات .

أما حماسة ابي تمام فقد احتوت قطعة واحدة نسبت سهوا في شرح المرزوقي الى الخطيم وصححت نسبتها في شرح المرزوقي ، وبزيادة بيتين اوردها البصري في حماسته .

ان انهاء دراسة الخطيم المحرزي ومحاولة جمع ما توفر من شعره تمثل الحلقة الثالثة في مجال المحاولة التي ابدلها في جمع شعر اللصوص الذي يمثل جانبا انسانيا مهما من جوانب الشعر العربي . بعد ان جمعت شعر مالك بن الريب وعبيد بن ايوب ، وسوف احاول – ان شاء الله – ان اضيف الى هؤلاء مجموعة اخرى من الشعراء لعل في توفير شعرهم ما يعيد على الدارسين بالنفع .

ولا يفوتني في الختام – وانا انهي هذه الدراسة – ان اقدم شكري الى الاخ الكريم الاستاذ محمد جبار المعيبد الذي قدم لي قائمة بما توفر لديه من مواضع شعر الشاعر فله شكري والسلام .

توحي بالاعتماد على الكتاب المذكور ولكنه لم يدخله ضمن المجاميع التي احصاها في مقدمته ..

شعر الخطيم المحرزي

قال صاحب منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة /١٢١ .

[١]

وقال الخطيم المحرزي من بني عبشمس وهو من اللصوص يستعطف قومه وهو مسجون بنجران(١) .

[من الطويل]

١ ـ أبت لي سعد ان أضام ومالك
وحي الرباب والقبائل من عمرو
٢ ـ وان ادع في القيسية الشم تأتني
قروم تسامى كلهم باذخ القدر
٣ ـ وان تلق ندماني يخبرك أنني
ضعيف وكاء الكيس لم أغذ بالفقر
٤ ـ وتشهد لي العوذ المطافيل أنني
ابو الضيف اقري حين لا احد يقري
٥ ـ فلولا قريش سلكها ما تعرضت
لي الجن بله الانس قد علمت قدري
٦ ـ وما ابن مراس حين جئت مطرداً
بذي علة دوني ولا حاقد الصدر
٧ ـ عشية اعطاني سلاحي وناقتي
وسيفي جَدىً من فضل ذي نائل غمر
٨ ـ خليلي الفتى العكلي لم أر مثله
تحلب كفاه الندى شائع القدر
٩ ـ كأن سهيلا ناره حين أوقدت
بعلياء لا تخفى على احد يسري
١٠ـ وتيهاء مِكْئال اذا الليل جنَّها
تزمل فيها المدلجون على حذر
١١ـ بعيدة عين الماء تركض بالضحى
كركضك بالخيل المقربة الشقر
١٢ـ فلاةٍ يخاف الركب ان ينطقوا بها
حذار الردى فيها مهولة قفر
١٣ـ سريع بها قول الضعيف الا اسقني
اذا خب رقراق الضحى خبب المهر
١٤ـ سمت لي بالبين اليماني صبابة
وانت بعيد قد نأيت عن المصر
١٥ـ أتيح لذي بثٍّ طريد تعوده
هموم اذا ما بات طارقها يسري
١٦ـ بنجران يقري الهم كل غريبة
بعيدة شأو الكلم باقية الاثر
١٧ـ يمثلها ذو حاجة عرضت له
كئيب يؤسي بين قرنة والفهر(٢)
١٨ـ فقال وما يرجو الى الاهل ردةً
ولا أن يرى تلك البلاد يد الدهر
١٩ـ لعمرك اني يوم نعفِ سويقةٍ
لمعترف بالبين محتسب الصبر
٢٠ـ غداة جرت طير الفراق وانبأت
بنأي طويل من سليمى وبالهجر
٢١ـ ومرت فلم يزجر لها الطير عائف
تمر لها من دون أطلالها تجري
٢٢ـ سنيحا وشر الطير ما كان سانحا
بشؤمي يديه والشواجح في الفجر
٢٣ـ فمانسَ مِلْ اشياء لانسَ طائعا
وان اشقذتني الحرب الا على ذكر
٢٤ـ عيوف الذي قالت : تعز وقد رات
عصى البين شقت واختلافا من النجر
٢٥ـ عليك السلام فارتحل غير باعد
وما البعد الا في التنائي وفي الهجر
٢٦ـ وعفت لجفن العين جائل عبرة
كما ارفض نجم من جمان ومن شذر
٢٧ـ تهلل منها واكف مطرت به
جموم بملء الشأن مائحة القطر
٢٨ـ وقالت تعلم ان عندي معشرا
يرونك ثأرا أو قريبا من الثأر
٢٩ـ فقلت لها اني ستبلغ مدتي
الى قدر ما بعده لي من قدر
٣٠ـ الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
بأعلى بلَيٍّ ذي السلام وذي السدر
٣١ـ وهل اهبطن روض القطا غير خائف
وهل اصبحن الدهر وسط بني صخر
٣٢ـ وهل اسمعن يوما بكاء حمامة
تنادي حماما في ذرى تنضب خضر
٣٣ـ وهل أرين يوما جيادي أقودها
بذات الشقوق أو بأنقائها العفر
٣٤ـ وهل تقطعن الخرق بي عيدهية
نجاة من العيدي تمرح للزجر
٣٥ـ طوت لقحا مثل السرار ونشرت
بأصهب خطار كخافية النسر

---

(١) في هامش المخطوطة تعليق يقول : وبنو محرز بطن من عكل . ونجران هذه هي نجران اليمن .

(٢) في الهامش تعليق يقول : موضعان ولم اجدهما في بلدان ياقوت ولا معجم ما استعجم وانما وجدت « قرنة » .

٣٦ـ هبوع اذا ما الريم لاذ من اللظى
بأول في؛ واستكن من الهجر(٣)
٣٧ـ وباشر معمور الكناس بكفه
الى ان يكون الظل اقصر من شبر
٣٨ـ وقد ضمرت حتى كأن وضينها
وشاح عروس جال منها على خصر
٣٩ـ حديثة عهد بالصعوبة ديثت
ببعض الركوب لا عوان ولا بكر
٤٠ـ تخال بها غبّ السرى عجرفية
على ما لقين من كلال ومن حسر
٤١ـ ولو مرّ ميلٌ بعد ميلٍ واصبحت
عتاق المطايا قد تغادرن بالفتر
٤٢ـ وهل أرين بين الخفيرة والحمى
حمى النهر او يوما باكثبة الشّعر
٤٣ـ جميع بني عمي الكرام واخوتي
وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر
٤٤ـ أخلائي لم يشمت بنا ذو شناءة
ولم تضطرب مني الكشوح على غمر
٤٥ـ ولا منهم حتى دعتنا غواتنا
الى غاية كانت بأمثالنا تزري
٤٦ـ أتيناهم اذ اسلمتهم حلومهم
فكنا سواءً في الملامة والعذر
٤٧ـ فلأياً بلأيٍ ما نزعنا وقبله
مددنا عنان الغي متسقا يجري
٤٨ـ فكنا لاقوام عظاتٍ وقطعت
وسائل قربى من حميم ومن صهر
٤٩ـ لحى الله من يلحى على الحلم بعدما
دعتنا رجال للفخار وللعقر
٥٠ـ وجاءوا جميعا حاشدين نفيرهم
الى غاية ما بعدها ثمّ من امر
٥١ـ وقلت لهم ان ترجعوا بعد هذه
جميعا فما امي بأم بني بدر
٥٢ـ قدحنا فأورينا على عظم ساقنا
فهل بعد كسر الساق للعظم من جبر
٥٣ـ بني محرز هل فيكم ابن حمية
يقوم ولو كان القيام على جمر
٥٤ـ بما يؤمن المولى وما يراب الشأى
وخير الموالي من يريش ولا يبري
٥٥ـ كما انا لو كان المشرد منكم
لابليت نُجحاً او لقيت على عذر
٥٦ـ لأعطيت من مالي واهلي رهينة
ولا ضاق بالاصلاح مالي ولا صدري
٥٧ـ بني محرز من تجعلون خليفتي
اذا نابكم يوما جسيما من الأمر
٥٨ـ بني محرز كنتم وما قد علمتم
كفارية خرقاء عيت بما تفري
٥٩ـ رات خللا ما كله سدُّ خرزها
واثأى عليها الخرز من حيث لا تدري
٦٠ـ بني محرز ان تكنس الوحش بينكم
وبيني وتبعد من قبوركم قبري
٦١ـ فقد كنت انهي عنكم كل ظالم
وادفع عنكم باليدين وبالنحر
٦٢ـ مُعنىً اذا خصم ادلّ عليكم
بني محرز يوما شددت له ازري
٦٣ـ بحدّ سنانٍ يستعد لمثله
ورقم لسانٍ لا عييٌّ ولا هذر

(٣) في الهامش تعليق يقول : الهاجرة .

هوامش القطعة الاولى

٢ ـ في حماسة ابن الشجري ٩٣/١ .. قروم تسامى كلها ...
٣ ـ في محاضرات الادباء ٣٦٢/١ وكاء لكيس لم أعد منه بالفقر
٤ ـ في حماسة ابن الشجري ٩٤/١ . وتشهد لي العود . وهو تصحيف .
٣٢ـ في بلدان ياقوت ٧٣٦/١ في ذرى قصب خضر .
٣٤ـ في بلدان ياقوت ٧٣٦/١ وهل يقطعن
تجاه من العبدي تعرج للزجر
والعجز كله محرف .
٤٢ـ في بلدان ياقوت ٣٤٤/٢ ، ٢٩٩/٣ حمى النير يوما او باكنبة الشعر
٤٣ـ في بلدان ياقوت ٣٤٤/٢ جميع بني عمرو ...

[٢]

قال صاحب منتهى الطلب في اشعار العرب الورقة / ١٢٣ .

وقال الخطيم أيضاً لسليمان بن عبدالملك وقد استجار به :

[من الطويل]

١ ـ وقائلة يوما وقد جئت زائرا
رأيت الخطيم بعدنا قد تخددا
٢ ـ أما ان شيبي لا يقوم به فتى
اذا حضر الشحّ اللئيم الضفندا
٣ ـ فلا تسخري مني امامة ان بدا
شحوبي ولا ان القميص تقددا
٤ ـ فاني بأرض لا يرى المرء قربها
صديقا ولا تحلي بها العين مرقدا
٥ ـ اذا نام أصحابي بها الليل كله
أبت لا تذوق النوم حتى ترى غدا

٦ ـ أتذكر عهد الحارثية بعدما
نأيت فلا تستطيع أن تتعهدا
٧ ـ لعمرك ما أحببت عزة عن صبا
صبته ولا تسبي فؤادي تعمدا
٨ ـ ولكنني أبصرت منها ملاحة
ووجها نقيا لونه غير أنكدا
٩ ـ من الخفرات البيض خمصانة الحشا
ثقال الخطا تكسو الفريد المقلدا
١٠ـ فقد حليت عيني بها وهويتها
هوى عرض مازال مذ كنت امردا
١١ـ كان من البردي ريان ناعما
بحيث ترى منها سوارا ومعضدا
١٢ـ تهادى كموم الرك كعكمة الصبا
بأبطح سهل حين تمشي تأودا(١)
١٣ـ يهيم فؤادي ما حييت بذكرها
ولو انني قدمت هام بها الصدا
١٤ـ لها مقلتا مكحولة أم جؤذر
تراعي مهاً أضحى جميعا وفردا
١٥ـ واظمى نقيا لم تفلل غروبه
كنور أقاح فوق اطرافه الندى
١٦ـ لدى ديم جادت وهبت له الصبا
تلقين أياما من الدهر أسعدا
١٧ـ فلاوالذي من شاء أغوى فلم يكن
له مرشد يوما ومن شاء أرشدا
١٨ـ يمين بلاءٍ ما علمت بسيي
عليها وان قال الحسود فأجهدا
١٩ـ واني لمشتاق الى الله أشتكي
غليل فؤاد قد يبيت مسهدا
٢٠ـ وما لامني في حب عزة لائم
من الناس الا كان عندي من العدا
٢١ـ ولا قال لي أحسنت الا حمدته
بما قال لي ثم اتخذت له يدا
٢٢ـ فلو كنت مشغوفا بعزة مثل ما
شغفت بها ما لمتني يا ابن أربدا
٢٣ـ اذن لازدهاك الشوق حتى ترى الصبا
من الجهل في أدنى المعيشة أحمدا

٢٤ـ وما لمتني في حبها بل عذرتني
فأصبحت من وجد بعزة مقصدا
٢٥ـ ليالي اهلانا جميعا وعيشنا
ربيع وشرعبا الحي لم يتبددا
٢٦ـ لها بين ذي قار فرمل مخفق
من القف او من رملة حين أربدا
٢٧ـ أواعس في برث من الارض طيب
وأودية ينبتن سدرا وغرقدا
٢٨ـ أحب الينا من قرى الشام منزلا
وأجبالها لو كان ان أتوددا
٢٩ـ أعوذ بربي ان أرى الشام بعدها
وعمّانَ ما غنى الحمام وغردا
٣٠ـ فذاك الذي استنكرت يا أم مالك
وأصبحت منه شاحب اللون أسودا
٣١ـ واني لماضي الهمّ لو تعلمينه
وركاب أهوال يخاف بها الردى
٣٢ـ ومسعر حرب كنت ممن أشبها
اذا ما الجبان النكس هاب وعردا
٣٣ـ وازداد في رغم العدو لجاجةً
وأمكنُ من راس العدو المهندا
٣٤ـ ويعجبني نص القلاص على الوجا
وان سرنَ شهرا بعد شهر مطرّدا
٣٥ـ عواسف خرق مالهن تئيّةٌ
اذا ملن في سهب تعرفن قرددا
٣٦ـ يخضن بأيديهن بيداً عريضةً
وليلا كأثناء الرويزي أسودا
٣٧ـ اذا مال جنْحُ الليل واطرق الكرى
أثرن قطاً من آخر الليل هجدا
٣٨ـ ورحلي على هوجاء حرف شملة
ذمول اذا التاث المطيُّ وهوّدا
٣٩ـ موثقة الانساء مضبورة القرى
تسوم بهاد في القلادة أقودا
٤٠ـ على مرسات الجندل الصم رفعت
بهن كما رفّعْتَ ظلا ممددا
٤١ـ لها عُجُزٌ تمت ورجل قبيضة
تشل يداً ما الخطو فيها بأحردا
٤٢ـ بها أثر في موضع النسع لاحبٌ
ومصدر فضل النّسع من حيث أوردا
٤٣ـ جرى النسع منصباً من الرحل واردا
فلما مضى من خلفه الرحل أصعدا

(١) قال المفضل بن سلمة في الفاخر وهو يقدم للبيت /٢٩٧ : قال الخطيم بن نويرة المحرزي يصف غديرا شبه مشي المراة به .

٤٤ـ الى كاهل منها اذا شد فوقه
بأحبُلهِ الميَسُ العلافيُ اوفدا
٤٥ـ كأن امام الرحل منها وخلفه
صفيحا لدى صفقي قراها مسندا
٤٦ـ سفينة برٍّ تحت اودع لا تنبي
براكبها تجتاب سهبا عمردا
٤٧ـ اذا امتد أثناء الزمام ازدهت به
كما يزدهي الذعر الظليم الخفيددا
٤٨ـ تذاءَبُ احيانا مراحاً وحدَةً
زهتها فما ياليت الا تزيَّدا
٤٩ـ بذي شقة جواب ارض تقاذفت
به سار حتى غار ثمت انجدا
٥٠ـ اعذني عياذاً ياسليمان انني
اتيتك لما لم اجد عنك مقْنعَدا
٥١ـ لتؤمنني خوف الذي انا خائف
وتبلغني ريقي وتنظرني غدا
٥٢ـ فرارا اليك من ورائي ورهبة
وكنت احق الناس ان اتعمدا
٥٣ـ وانت امرؤٌ عودت نفسك عادة
وكل امرئٍ جارٍ على ما تعودا
٥٤ـ تعودت الا تُسلِمَ الدهرَ خائفا
اتاك ومن آمنته امِن الردى
٥٥ـ اجرت يزيد بن المهلب بعدما
تبين من باب المنية موردا
٥٦ـ ففرجت عنه بعدما ضاق أمره
عليه وقد كان الشريدَ المطردا
٥٧ـ سننت لأهل الأرض في العدل سنة
فغار بِلاءُ الصدق منك وانجدا
٥٨ـ وانت المصفّى كل امرك طيبٌ
وانت ابن خير الناس إلا محمدا
٥٩ـ وانت فتى اهل الجزيرة كلها
فعالا واخلاقا واسمحهم يدا
٦٠ـ وانت من الأعياص في فرع نبعةٍ
لها ناضر يهتز مجدا وسؤددا

هوامش القطعة الثانية

٢٦ـ في بلدان ياقوت ٤/٤٤٣ او من رملة حين ابردا
٢٨ـ في بلدان ياقوت ٤/٤٤٣ واجبالها لو كان أنأى تودّدا
٣٠ـ في بلدان ياقوت ٣/٧٢٠ فأصبحت منه
٣١ـ في بلدان ياقوت ٣/٧٢٠ واني لماضي العزم ...

[٣]

قال صاحب منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة /١٢٤ .
وقال أيضا :

[من الطويل]

١ ـ نزلنا بمخشيٍّ الردى آجن الصَّرى
تنـاذره الركبـان حـدب المغلَّلِ
٢ ـ غشاشاً [حلا] حتى روين وعلَّقوا
اداوي سـقوا فيها ولمّا تبلّل(١)
٣ ـ واشعث راض في الحياة بصحبتي
وان متُّ آسى فعل خرق شـمردل
٤ ـ تبدل بالنُّعمى بئيساً وشَفَّه
مخاوف تزري بالغرير المغفـل
٥ ـ طريدِ مَطا حتى كأن ثيابه
على جلد مسجون وان لم يكبـل
٦ ـ دنا لي فأعداني وقال وقد بدت
شواهد مشهور اغرٌّ محجَّـل
٧ ـ وقال وقد مالت به نشوة الكرى
نعاساً ومن يعلق سرى الليل يكسل
٨ ـ انخ نعط انضاء النعاس دواءها
قليلا ورفه عن قلائص كـائل
٩ ـ فقلت له كيف الاناخة بعدما
حدا الليل عريان الطريقة منجلي
١٠ـ الا ترهب الاعداء ان يمحلوا بنا
او البعث من ذاك الامير الموكل
١١ـ واشعث قد القى الوسادة فانطوى
الى دفّ منجاة الذراعين عيهل
١٢ـ وقد ضمرت حتى كأن وضينها
وشاح بكفي ناهدٍ لم تسربل
١٣ـ وهن يقطعن اللغام كأنه
سبائخ من قطن بأذرع غزّل
١٤ـ فألقى بثنييه على شرخ رحلها
أخو قفرات ثم قال لها حلّي
١٥ـ اذا وثبت من مبرك غادرت به
دما من اظلَّ راعفٍ لم يُنَعَّلِ
١٦ـ الم تعلمي يا عمرك الله انني
أُضمن سيفي حقَّ ضيفي ومرجلي

(١) كذا في المخطوطة ولعل تحريفا أو تصحيفا اعترى اللفظة .

١٧ـ اذا الشول راحت وهي حدب ظهورها
يَسُفْنَ مُقَذَّى مُقْرِمٍ لم يُجَزَّلِ
١٨ـ فاجلت وقد امكنته من عقيرة
تخيرتها سُمنى ايانق بُزَّل
١٩ـ افزَّ نسأ من بعد ساق اثرّها
لعاب الفرند الخالص المتنخل
٢٠ـ ولست بقوال اذا قال صاحبي
لك الخير مرني انت ماشئت افعل
٢١ـ ولكنني اقضي له فاريحه
ببزلاء تنجيه من الشك فيصل
٢٢ـ وداعٍ دعا والليل من دون صوته
بهيم كلون السندس المتجلل
٢٣ـ دعا دعوة عبدالعزيز وعرقلاً
وما خير هيجا لا تحش بعرقل
٢٤ـ الا ايها الغادي لغير طريقه
تناه ولما تعي بالمتنزل
٢٥ـ ولما اقل فاها لغيك فانما
ختلت رقيب الوحش غير مختل
٢٦ـ لعمرك ان المستثير عداوتي
لكا لمتبغي الثكل من غير منكل

هوامش القطعة الثالثة

٤ ـ في الحماسة البصرية ٢/٣٦٠ .. تبدل بالفمى . وهوتحريف
٨ ـ في الحماسة البصرية ٢/٣٦٠ انخ تعط .. عن فلائص ذبل
وفي حماسة ابي تمام (المرزوقي) ٤/١٨١٤ فلائص ذبل
٢٠ـ في اساس البلاغة /١٩ الم تر اني لا اقول لصاحب اذا قال مرني
٢١ـ في اساس البلاغة /١٩ ولكنني افري له

[٤]

قال الخطيم العكلي :

[من الطويل]

١ ـ بني ظالم ان تظلموني فانني
الى صالح الاقوام غير بغيض
٢ ـ بني ظالم ان تمنعوا فضل ما بكم
فان بساطي في البلاد عريض(١)

(١) في البيت اقواء .

٣ ـ فان«المعا» لم تسكنوا الدهرة عزة
به العلجان المرئ غير اريض(٢)

[٥]

قال الخطيم العكلي اللص :

[من الطويل]

١ ـ أمن عهد ذي عهد بحومانة اللوى
ومن طلل عاف ببرقة عاذب
٢ ـ ومصرع خيم في مقام ومنتأى
ورمد كسحق المرنباني كاتب(٣)

[٦]

وقال القالي : وانشدنا ابو منحتم للخطيم بن نويرة العكلي :

[من الطويل]

١ ـ الا يالقومي للشباب الذي مضى
حميدا واخدان الصبا والكواعب
٢ ـ وللعصر الخالي وللعيش بهجة
وللقلب اذ يهوي هوى ابنة ناشب
٣ ـ وجاراتها اللاتي كأن عيونها
عيون المها يفقهننا بالحواجب(٤)
٤ ـ حديثا مسدى من نسيج يزرنه
من الود قد يلحمنه بالمعاتب

[٧]

قال الخطيم بن محرز احد بني عبدشمس وادرك الاسلام :

[من الطويل]

١ ـ ابا قطريٍّ لا تصارع فانني
أرى قرنك الأعلى واياك اسفلا
٢ ـ اراك اذا ناوات قرنا سبقته
الى الارض واستسلمت للموت اولا(٥)

(٢) يوم المعا من ايام العرب قتل فيه عبدالله بن الراعش الكلبي .
(٣) المرنباني : الفرو وجلود الثعالب ، وكاتب اراد كاتب اللون .
(٤) جاء بعد البيت . قال ابو الحسن الاخفش : معناه يقبضنها .
(٥) وذكر الانصاري بعد البيتين فقال : ورواه ابو العباس محمد بن يزيد : واستبسلت .

تخريج القصائد

[١]

الابيات [١-٦٣] في منتهى الطلب في اشعار العرب الورقة / ١٢١-١٢٢ . والابيات [١ ، ٢ ، ٤] في حماسة ابن الشجري ٩٣/١-٩٤ . والبيت الثالث في محاضرات الادباء ٣٦٢/١ والتاسع في مجموعة المعاني /١٥٠ والابيات [٣٠-٣٤] في بلدان ياقوت ٧٣٦/١ والبيت [٣١] في بلدان ياقوت ٨٥٦/٢ والابيات [٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠] في مجموعة المعاني /١٨٣ . والبيت [٣٨] في تشبيهات ابن ابي عون /٦٧ وقد نسب خطأ الى ابن الخطيم وتابعه في هذه النسبة العسكري في ديوان المعاني ١١٩/٢ ونسبه في حماسة ابن الشجري /٧٠٢ الى الخطيم الحرزي وهو تحريف المحرزي . [ووهم محققا الحماسة في هامش البيت حيث ذكرا سمط اللالي : ٤٠ والصحيح : ان اشارة الى الابيات وردت في الذيل /٤٠] . والبيتان [٤٢ ، ٤٣] في بلدان ياقوت ٣٤٤/٢ ، والبيت [٤٢] في بلدان ياقوت ٢٩٩/٣ .

[٢]

الابيات [١-٦٠] في منتهى الطلب في اشعار العرب الورقة /١٢٣ . والبيت [١٢] في الفاخر /٢٩٧ ، والابيات [٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨] في بلدان ياقوت ٤٤٣/٤ ، والبيت [٢٧] في بلدان ياقوت ٧٠٣/١ والابيات [٢٩ ، ٣٠ ، ٣١] في بلدان ياقوت ٧٢٠/٣ .

[٣]

الابيات [١-٢٦] في منتهى الطلب في اشعار العرب الورقة /١٢٤ . والابيات [٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩] في الحماسة البصرية ٣٥٩/٢-٣٦٠ ووهم صاحب الحماسة البصرية فادخل بيتين مختلفين وزنا وشكلا في آخر الابيات . واعتبرهما من ابيات القصيدة وهما غير مذكورين في ابيات القطعة . والابيات [٧ ، ٨ ، ٩] في حماسة ابي تمام المرزوقي ١٨١٤/٤ ونسبت الى حطيم وهو تصحيف ، والبيتان [٢٠ ، ٢١] في اساس البلاغة /١٩ ونسبا لبعض فتاكهم .

[٤]

الابيات [١-٣] في بلدان ياقوت ٥٧٠/٤ .

[٥]

البيتان في بلدان ياقوت ٥٨٤/١ .

[٦]

الابيات في ذيل الامالي /٨٣ .

[٧]

البيتان نسبا للخطيم المحرزي في نوادر ابي زيد /١١٥ ونسبا في اشباه الخالديين ٢٦٥/١ للمسراد بن بُديل العبشمي .

مراجع تحقيق الشعر

البكري : ابو عبدالله بن عبدالعزيز (ت ـ ٤٨٧هـ) .
١ ـ سمط اللآلي ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني ـ مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٣٥٤-١٩٣٦

ابو تمام : حبيب بن اوس الطائي (ت ـ ٢٣١ هـ) .
٢ ـ الحماسة ـ شرح المرزوقي (ت ـ ٤٢١) نشره احمد امين وعبدالسلام هارون ـ مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ١٣٧١-١٩٥١ .

الخالديان : ابو بكر محمد بن هاشم (ت ـ ٣٨٠) وابو عثمان سعيد بن هاشم (ت ـ ٣٩١) .
٣ ـ الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف ـ مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٩٥٨-١٩٦٥ .

الراغب الاصفهاني : حسين بن محمد (ت ـ ٥٠٢هـ) .
٤ ـ محاضرات الادباء ـ طبعة قديمة ـ ١٢٨٧هـ .

الزمخشري : جارالله محمود بن عمر (ت ـ ٥٣٨) .
٥ ـ اساس البلاغة ـ دار الكتب ـ ١٣٤١ .

أبو زيد الانصاري : سعيد بن أوس بن ثابت (ت ـ ٢١٥هـ) .
٦ ـ النوادر في اللغة . دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٣٨٧-١٩٦٧ .

ابن الشجري : هبةالله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت ـ ٥٤٢) .
٧ ـ الحماسة الشجرية ـ تحقيق عبدالمعين الملوحي واسماء الحمصي . منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٩٧٠ .

العسكري : ابو هلال : الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد (ت ـ ٣٩٥) .
٨ ـ ديوان المعاني ـ القاهرة ـ ١٣٥٢ .

ابن ابي عون : ابراهيم بن المنجم الانباري (ت ـ ٣٢٢) .
٩ ـ التشبيهات ـ تحقيق محمد عبدالمعيد خان ـ كمبردج ـ ١٩٥٠ .

القالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ـ ٣٥٦)
١٠ـ الامالي والذيل ـ دار الكتب ـ القاهرة ـ ١٣٤٤ .

ابن مبارك : محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون (من رجال القرن السادس الهجري) .
١١ـ منتهى الطلب من أشعار العرب ـ نسخة مصورة من مخطوطة مكتبة السليمانية باستانبول .

مجهول : مؤلف مجهول .
١٢ـ مجموعة المعاني . القسطنطينية ـ الجوائب . ١٣٠١هـ .

المفضل بن سلمة : أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ـ ٢٩١) .
١٣ـ الفاخر ـ تحقيق عبدالعليم الطحاوي ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٨٠-١٩٦٠

ياقوت : ابن عبدالله الرومي الحموي (ت ـ ٦٢٦) .
١٤ـ معجم البلدان ـ تحقيق فيستنفيلد ـ لايبزك ـ ١٨٦٦-١٨٧٠ .